الفصل الثاني

ما الفائدة من استتاره وغيبته

فإذا كان الإمام المنتظر أو قائم الزمان أو قائم الحق عند الموحدين سيظهر في آخر الزمان عندما يحين الوقت المقدَّر من الباري عز وجل، وعندما تحين مشيئته فما هي الفائدة بالنسبة للأمة وهو غائب مستور؟

الجواب: إن الذي يحقق ويدقق في هذه المسألة يجب أن يضع في حسابه أولاً الروايات والأخبار الصحيحة التي تتحدث عن ظهوره الذي سيكون بصورة مفاجئة وسريعة أو كما ورد على لسان بعض مشايخنا الأطهار بغتة أي دون تحديد زمن مخصوص أو وقت معين وهذا يرتب عليه ترقب كل جيل من الأجيال لظهوره المبارك ويعمل عملاً صالحاً ونافعاً.

أولاً– أن ذلك يدعو كل موحد مؤمن إلى أن يكون على حالة من الاستقامة والثبات على عقيدة التوحيد، والتقيد بالأوامر والنواهي والابتعاد عن الظلم للآخرين وعدم غصب حقوقهم، وذلك لأن ظهور قائم الحق يعني قيام عدله وبسط قسطه بالمجتمع.

ثانياً– إن ذلك يدعو كل مؤمن موحد إلى أن يكون في حالة طوارئ مستمرة واستعداد تام من حيث التهيؤ للانضمام إلى قائم الزمان والاستعداد العالي للتضحية في سبيل بسط عدله على الأرض وهذا الشعور يخلق عند الموحدين حالة من التآزر والتعاون ورصّ الصفوف.

ثالثاً– إن هذه الغيبة تحفز المؤمن بها للنهوض بمسؤوليته وخاصة في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيكون الموحدون متحصنون متحفزون إذ لا يمكن تقيد الموحدين بالانتظار فحسب دون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استعداداً لاستقباله.

رابعاً– إن الأمة التي تعيش الاعتقاد بالمهدي الحي الموجود تبقى تعيش حالة الشعور بالعزة والكرامة فلا تطأطئ رأسها لأعداء الله وأعداء الوطن، ولا تذل لجبروتهم وطغيانهم، إذ هي تترقب وتتطلع لظهوره المظفر في كل ساعة ولذلك فهي

تأنف الذل والهوان وتستصغر قوى الظلم وتستحقر كل ما يملكونه من عدة وعدد[24].

واليوم الآخر هو يوم القيامة، ويجب الإيمان به أوعده الله سبحانه وتعالى ليجمع بين الناس للحساب وقد سأل السيد جبريل عليه السلام الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حتى تقوم الساعة؟ فأجاب: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، معناه نحن مشتركان في هذا الأمر هو عدم المعرفة بميقات الساعة فقال: أخبرني عن أماراتها (أي علاماتها) قال: أن تِلدَ الأمة ربتها (سيدتها) وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاء يتطاولون في البنيان.

ومما يروى عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قوله: إذا رأيت شُحاً مطاعاً وهوى متبعاً، وإعجاب كلّ ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك ودع أمر العوام× وقال: يكون بين يدي الساعة أيام يرفع فيها العلم وينزل فيها الجهل ويكثر فيها الهرج× والهرج: القتل[25]

(24) راجع أشراط الساعة من مكيات رسائل النور الشعاع الخامس لمؤلفه بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة إحسان قاسم الصاغي ط1 مطبعة الحوادث بغداد1412هـ

(25) راجع البخاري ومسلم

وهذا دال على أن العلم قد يرفع من الناس في آخر الزمان حتى أن القرآن الكريم يسري عليه النسيان في المصاحف والصدور ويبقى الناس بلا علم حتى أن الشيخ الكبير والعجوز المسنة يخبران بأنهم أدركوا الناس وهم يقولون: لا إله إلا الله فهم يقولونها على وجه التقرب إلى الله سبحانه وتعالى فهي نافعة لهم، وإن لم يكن عندهم من العمل الصالح، والعلم النافع غيرها، ولا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد .

ومما يروى عن مولانا بهاء الدين والدنيا رضي الله عنه عندما أشرف على التل الذي استشهد فيه الداعي عمار رضي الله عنه قوله وهو يرمق إخوانه بعينه الطاهرة: **هل ترون ما أرى؟ قالوا: لا؟ قال: إني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع المطر ويتقارب الزمان ويكثر الهرج**

نعم أحبتي في الله صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال: إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء[26] .

([26]) صحيح البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود.